

فنون وعلوم / ثقافة

جورج باسيل.. بورتريه اللامرئي



محمد شرف 2015-10-12 01:35 AM

يحق لنا أن نتساءل، من حين إلى آخر، حول مصير بعض أنواع الفنون البصرية، وإذا ما كانت ستفقد هويتها مع مرور الأيام. فبعض أنواع هذه الفنون موعلة في القدم، وتم الخوض في تفاصيلها خلال أزمنة عديدة، وبحسب أساليب متنوعة، لكنها، وبالرغم مما أوردناه، بقيت قابلة لمعالجات مستحدثة، طالما امتلك صانعها القدرة على إلباسها ثوب العصر، تبعاً لرؤى وأساليب ذاتية، ذات علاقة مباشرة أو غير مباشرة بهذا التيار الفني أو ذلك.

معرض جورج باسيل، لدى غاليري Art on 56th (الجميزة)، يضم لوحات تنتمي إلى أحد الأنواع المذكورة: البورتريه. غني عن الذكر أن هذا النوع الفني كان خضع لمقاربات عديدة على مدى تاريخ الفنون التشكيلية، واستطاعت هذه المقاربات، الكثيرة والمختلفة، أن تزيح من الواجهة، في أوقات معينة، الهدف الكلاسيكي المتفق عليه للبورتريه: رسم شخصية معينة بحيث يبدو صاحبها واضح المعالم، ما يمكن المتلقي من التعرف عليه بقدر الإمكان، ومن دون حاجة ملحة للتساؤل أو التأويل.

يعرض باسيل ما يقرب من 15 عملاً بأحجام كبيرة، تتمحور جميعها حول الموضوع، أو النوع المذكور، بعدما اختار لمعرضه عنوان Breathless. يتراوح حجم الشخصيات المرسومة بين شغل مساحة اللوحة بالكامل، أو إفساح المجال لملاحظات لا تلعب

دوراً فاعلاً في البناء التأليفي، إذ أنت هذه الملحقات في معظمها ذات طابع نباتي، ولو شئنا التحديد لقلنا أن الزهور تقع في صلب هذا العالم النباتي، ما يعتبر جديداً في نتاج الفنان، الذي خلا سابقاً من هذا الموتيف. وإذا كنت تحدثنا سابقاً عن مسألة التأويل، الهادفة إلى اكتشاف صلة القربى ما بين الشكل المرسوم والشخصية الحقيقية وتتبع معالمها، فإن التأويل هنا قد يتمحور حول الحالة السيكلوجية للشخصيات المرسومة. الانطباع المباشر، الظاهر، يشير إلى ضروب من التأمل تارة، والنظر إلى البعيد اللامحدود تارة أخرى، كما، على سبيل المثال، في ذلك العمل الذي يجتمع فيه وجهان ينظر أصحابهما، وربما صاحبهما نفسه، إذ هما يحملان الملامح ذاتها، في اتجاهين متعاكسين، وكأنهما الإنسان ونقيضه، في اختلاف هواجسهما وذهابهما في دروب الخيال المواربة بين حالة وأخرى.

كما لن نجافي الحقيقة إن اعتبرنا أن جورج باسيل كان جسّد نفسه في أكثر من عمل، أو بالأحرى قام بتنفيذ أوتوبورتريه لن تخفى عناصر الشبه بينه وبين الرسام ذاته. هذا، مع العلم أن البورتريهات، في معظمها، لم تبين فيها تقاسيم الوجه من زاوية تشريحية، بقدر ما جاءت مسطحة ضمن الخطوط الخارجية لهذا للوجه، لتتحد، حينها، معالم التعبير في العيون أكثر من سواها، مع الأخذ في الاعتبار أن ثمة عيوناً مغمضة وكأنها تكتنم أسراراً يصعب أن يبوح بها عمل تشكيلي، وهكذا، يبقى المجال مفتوحاً نحو محاولات إدراك اللامرئي، أكان هذا الشعور الغامض حزناً أم فرحاً، أو حتى نشوة.

لا يختلف الأمر كثيراً في الأعمال التي تضم أكثر من وجه، علماً أن هذه الفئة من الأعمال لم تبلغ، في نظرنا، البعد التعبيري الذي بلغته الأعمال التي احتوت شخصية واحدة. وفي كل الأحوال تكمن ميزة نتاج جورج باسيل، الموجود في صالة العرض، في قدرته على الجمع بين الناحية البصرية، المتمثلة في خيارات لونية صائبة ومداخل تأليفية مبتكرة من جهة، والبعد النفسي المتواري خلف تلك الوجوه التي لا تحمل دائماً ملامح واضحة، من جهة أخرى، كي تفتح الطريق واسعاً أمام تأملات أخرى، تتعلق بالمتلقي وجهوده هذه المرة.

محمد شرف

يستمر المعرض حتى 24 تشرين الأول